الثقافة العلمية واثرها في الصحة العامة

للدكتور علي بك ابرهيم

خطبة الرئاسة في المجمع المصري للثقافة العلمية

ايها السادة : لا احسبني مجازفاً اذا قررت ان العلم كان يطلب في العصور الخالية للزينة اكثر مما كان يبتغى للنفع العام. بل لقد غالى العلماء في كثير من بقاع الارض في اثرتهم فضنوا على الجموع ببذل شيء مما اوتوا من العلم ووضعوه في موضع الاسرار واجروه لانفسهم وخاصة اهليهم مجرى الاحتكار . ثمَّ لقد كان الرجل منهم يصل الدهر جاهداً ليكون طبيباً وكيماويّاً — وفيلسوفاً ومهندساً — وعارفاً بالنجوم بل واديباً وشاعراً ايضاً واذا كان هذا يرجع شيء من السبب فيه الى ان الفروق بين بعض العلوم والبعض الآخر لم يكن تام الوضوح فليس من شك في ان من اهم اسباب ذلك تلك الاثرة في العلماء وان كلاً يود أو يستأثر وحده بجمهرة العلوم كلها فلا يدع منها كثيراً ولا قليلاً لغيره من الناس

ثم لقد خفض الزمن من هذه الأثرة العلمية وقلَّ من حدتها وأقبل جماعة العلماء على التدوين والتأليف في كل ما عرفوا وجلسوا للدرس يعلمون العلم ويشرحون قضاياه لكل من شهد مجالسهم من عامة الناس. الا ان العلم مع هذا بقي دهراً محصوراً بين العلماء وتلاميذهم وبعبارة اوضح ان جمهور الشعب لم يكن يجني من العلم شيئاً يذكر

ايها السادة : لا خير في علم لا ينتفع به الناس ولا خير في علم لا ينتفع به اكبر عدد من الناس. ولهذا شرع الله العلم وبعث العلماء على ظهر الارض . واذا كان ما ذكرناه شأن الحياة الادبية في العصور الخالية فلقد كان شأن الحياة المادية كما تعلمون اشد وانكى

على ان الانسانية قد كافحت عن نفسها بكل الوسائل ابتداء من القرن الماضي حتى بلغ الانسان حقه او كاد في كلتا الحالتين على السواء . وكان بعد ان تقررت له الحقوق والحريات المختلفة ان ظهر اخيراً هذا المذهب الجليل النبيل مذهب « نشر الثقافة العلمية ». والغاية التي تذهب اليها هذه الفكرة هي تزويد كل فرد بقدر من المعلومات العامة والمشاركة بسهم في اوليات العلوم والفنون تهيِّء للحياة الانسانية وتدفع عنه كثيراً من اخطارها. وربما اجدت عليه بجليل من ثمارها. وانما يقاس الآن رقي الامم بالثقافة العلمية لا بكثرة من فيها من العلماء . وفي الواقع ان في روسيا عدداً لا يحصى من فحول العلماء والمستكشفين

والمخترعين والادباء والكتاب وهم لا يقلون عن غيرهم في الامم الاخرى سعة علم وجلالة قدر . ولكن لا يجرؤ احد على ان يسوي الامة الروسية بالامة الانجليزية مثلاً بفضل ما اخذت هذه الاخيرة نفسها به من الثقافة العلمية

ايها السادة : الواقع ان الفرد منا يعيش على حساب طوائف من المجهودات يقوم بها آلاف من الناس كل في سبب خاص من اسباب الحياة المختلفة وهذه قضية بديهية لا تحتاج الى شرح ولا بيان . ولقد دعا تقدم العلم واطراد الحضارة وتحقيق المصلحة العامة الى التخصص في الفنون والعلوم كذلك بحيث يتجرد كل فنان او عالم الى معالجة علم او فرع من علم يوفر عليه كل ما فيه من جهد وذكاء واستعداد . وبهذا جادت الفنون وازهرت العلوم وانكشف كثير من الحقائق العلمية التي عادت على المجموعة الانسانية كلها بالخير والرفاهية

ايها السادة : ليس يضير العالم المختص الا يكون له خطر في شيء من العلم بغير الفرع الذي يعالجهُ ويتوفر عليه بكل جهده . فحسبه انهُ قائم على ثغرة وحسبه انهُ قائم بتغذية المجموع في ناحية من نواحي حياته . اما مجموع الشعب فواجب اخذه بالثقافة العلمية وهي كما سلف التزود بقدر من المعلومات العامة المشاركة بقسط من اوليات العلوم والفنون . وهذه المعلومات انما تبتدىء في المدرسة وهي تستمر بعد هذا الى غاية الحياة ومن ابلغ وسائلها الصحف والمجلات العلمية والادبية والرسائل التي يطالع العلماء بها الجمهور من حين لآخر وشهود المحاضرات وغشيان مجالس اهل الفضل ودور السينما والرحلات العلمية ونحو ذلك مما تتفتق به العقول ويزيد في محصول الفرد من شتى المعلومات في مختلف اسباب الحياة حتى اصبحت معلومات [illegible] في الجملة من معلومات علماء كبار في القرون الخالية كما اصبح تحصيل العلوم نفسها ايسر واهون لتوفر مبادئها في البيئات العامة بحكم انتشار الثقافة العلمية فضلاً عن ان التخصص في علم ليس معناه القطيعة التامة لغيره بل ان الامر ليجري على العكس بحكم الاتصال التام بين افراد اسرة العلوم سواء أكان هذا الاتصال قريباً ام بعيداً مباشراً ام غير مباشر

اثر الثقافة العلمية في الصحة العامة

ايها السادة : لا شك في ان من ابلغ ما احدثت الثقافة العلمية على الانسانية اثرها في الصحة العامة فلقد قدر مجموع الناس قدر الطب وعرف عاماً ان علاج الابدان انما هو من صنعة الاطباء لا من صنعة الدجالين . عرف قيمة الوقاية من الامراض حتى جرى على لسان الجميع ذلك المثل المشهور « الوقاية خير من العلاج » كما عرف قدر الرياضة البدنية وأثرها

في تقوية اعضاء الانسان بحيث يحتمي بها من كثير من الأمراض والآلام . كذلك نهم مدى أثر النظافة في مدافعة كثير من العلل وصيانة الجسم مما يعلق به من بواعث الأمراض والأسقام . فهم المأكولات الضارة بحكم طبيعتها او بما يلوثها من الأقذار والأوضار . عرف الميكروب وغيره من اسباب الأمراض المختلفة وآمن بانتقال بعض الأمراض بالعدوى المباشرة او بالوسائط الأخرى وأدرك ان البعوض اداة الملاريا وأن البرغوث وسيلة الطاعون وأن القملة مطية التيفوس . انكشف له ما في تلوث الماء واللبن والخضر من انشاء الحمى التيفودية او الكوليرا . ثم لقد استطاعت الثقافة العلمية ان تكشف هذا وغيره لجاميع الشعوب التي اخذت قسماً منها فاتقى الأفراد بالوسائل السهلة الصحيحة ما لا يحصى من شدائد المضار وفواتك الأخطار

ايها السادة : لا زال في حاضر علمكم ما كانت تفعل الطواعين والأوبئة العامة في اكثر بلاد الله حتى لقد كانت في بعض الأقاليم مقيمة لا تكاد تبرح الا ريثما يخلق الله لها نبتاً من الناس جديداً لترعاه . وكثيراً ما كانت تدهم بلاداً فتعصف بأهلها ما تعفو منهم عن كثير ولا قليل . ولقد زالت الآن بحمد الله عن اكثر البلاد وهي في طريقها الى التلاشي التام عن ظهر المسكونة في القريب ان شاء الله . واذا قيل ان الفضل في هذا يرجع الى علم العلماء وطب الأطباء فلا ينبغي ان ينسى ان الفضل الأكبر انما يرجع الى نشر الثقافة العلمية بين الشعوب . فلقد كان من آثرها الأخذ بأسباب الوقاية اولاً والالتجاء الى الطبيب ثانياً حتى اذا انبعث الوباء من أية ناحية من النواحي كانوا هم جنود الأطباء بعد ان كانوا في هذه الأحداث العامة حرباً عليهم لا هدنة بيا ولا سلام . وكلنا قد شهد هذا في نفس بلادنا هذه او سمعه ممن شهده في الأوبئة التي اعترتها في ختم القرن الماضي ومفتتح القرن الحاضر

ايها السادة : ان دعوةً هذه بعض آثارها لحقيقة بكل عون وتأييد . وأن القيام بهذه الدعوة والعمل على تحقيقها ليس واجباً وطنياً فقط بل هو واجب انساني ايضاً لأن الانسان المستنير هو الذي لا يُدخل في واجبات الانسانية اي اعتبار لا من جنس ولا من دين ولا من وطن

وأن مصر التي اصبحت تتبارى فيها النهضات من كل ناحية لا يمكن الا ان تفسح صدرها لواحدة من اجلها وأعودها بالنفع العام — وهي الثقافة العلمية

لجديرٌ بنا — ايها السادة — ان يجيء بعضنا بعضاً وأن نتواصى بالعمل بكل ما اوتينا من قوة لتحقيق هذا المطلب النبيل وأن ندعو الله تعالى ان يحفظ لمصر باعث مجدها وحامي حمى نهضاتها جلالة مولانا الملك المعظم